MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN_NAHAR
Date : 28_10_93
Photo No. : 132

في الجَهل وَالتجهيل

هل تذكرون تلك البقع السوداء التي كانت تمهر بعض الصفحات في القواميس الاجنبية؟ بقع من الحبر الاسود الغليظ اريد منها تغطية علم دولة اسرائيل، عفوا دولة "اسرائيل" كما جرت العادة على كتابتها، وخريطتها السياسية او حتى اسمها.

كنا صغارا، وكانت تلك البقع تبعث فينا الرهبة فلا نكثر من الاسئلة ونكتفي بالحجة الطلسمية التي كانت تعطى لنا عن ضرورة تغييب العدو. لكننا كبرنا وادركنا كم يكون من الافضل ان نتّبع منهج "اعرف عدوك". وراح بعضنا يتبحّر في دراسته، فعرفنا فعلا خصائص هذا العدو، وعرفنا تركيبته وتناقضاته وعقَده، وان لم يكن بالمقدار الكافي. وجاءت ضرورات الدعاية في بلاد الغربة لتدفع الذين ظلوا مؤمنين بالحق العربي الى الجلوس مع افراد ينتمون الى هذا العدو لمحاججتهم، واحيانا لاقناعهم.

ربما لم ينجح هذا المنهج في استمالة الاعداد الكبيرة من المؤيدين الاجانب، وربما فشل في اثارة اصطفاف داخل مجتمع العدو. لكنه لم يؤد في اي حال من الاحوال الى تفريط. التفريط كان على الارض، في موازين القوى السياسية وفي تصرف اولئك "القومجيين" الذين يكتفون من محاربة العدو بممارسة فعل التجهيل.

لم يكن التجهيل يوما حلا لمقاربة الصراع العربي- الاسرائيلي. لكنه اضحى اليوم جريمة موصوفة. جريمة بحق المجتمعات العربية المدعوة الى ولوج مرحلة جديدة من تاريخها من دون ان يكلف المسؤولون انفسهم عناء شرح الابجدية الجديدة التي ستنظم هذه المرحلة. جريمة لأن استثارة المشاعر "القومجية" و"المقاومجية" تعني دفع اجيال جديدة الى اليأس في الوقت الذي تمساس تلك الاجيال، في الواقع المادي، الى سلام تجهل كل شيء عنه.

وحتى تكتمل الفضيحة، نجد المجمّلين والجهلة يوجهون اصابع الاتهام الى افضل ما في هذه الامة. لن نذهب بعيدا اليوم ونحكي عن تخوين نخب الشعب الفلسطيني. يكفينا ما يحصل في لبنان من سلطان للافكار البالية والمنطق الرفضي (لفظا فحسب). وآخر دليل على هذا المنطق وتلك الافكار، بعد غياب لبنان عن اجتماعات لجنة اللاجئين في المفاوضات المتعددة الطرف، فلجنة المياه، هو الكلام الموتور الصادر من بعض "ممثلي الشعب" في حق الدكتور بطرس لبكي.

ليس بطرس لبكي في حاجة الى من يدافع عنه. ولا ضرورة للقول ان وجود شخص بمستواه العلمي والفكري والاخلاقي في هياكل الدولة ومجلس الانماء والاعمار هو من العوامل النادرة جدا التي ما زالت تبعث على الامل في هذا البلد. والموضوع ليس في شخصيته، ولا يتناول حقه في حضور مؤتمرات اكاديمية قد يشارك فيها خبراء اسرائيليون. كما لا يعنينا التذكير بأن اولئك الذين يريدون تحريم اكاديمي لبناني من الجلوس في قاعة يتواجد فيها اسرائيليون، لا يأبهون اذا كان لبنان، حكومة وشعبا، يزخر بالذين جلسوا وجها لوجه، وجنبا الى جنب مع اسرائيليين لا يمكن ان يوصفوا بالخبراء اللهم الا في المجال الامني.

الموضوع الاساسي اننا، شئنا ام ابينا، على ابواب نقلة نوعية في الصراع العربي – الاسرائيلي تجعل من العدو، وبضغط من النظام العالمي الجديد (والنظام العربي الجديد)، مجرد خصم سوف نضطر الى التعايش الصدامي معه، بل والتعامل الصراعي معه.

ولكن هل يمكن التعايش صداميا مع اي كان، اذا اخفيناه تحت بقع سوداء، وإن تكن بقعا وفقاقيع خطابية ليس الا...

سمير قصير